

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية

عند ابن خلدون

عواصي بوبكر

جامعة الأمير عبد القادر

في هذا العصر الذي أطلق عليه كثير من المفكرين، عصر تفجر المعرفة، بعد أن تعددت مجالاتها وتنوعت وتداخلت في بناء الحياة المعاصرة... وأصبح أي نشاط إنساني، على اختلاف صيغه وأشكاله، معتمدا في حركته وتطوره على المعرفة الوافية، والاستيعاب العلمي، ووضوح الرؤية الفكرية.

في هذا العصر أصبح البحث في المعرفة ماهية وقيمة ومصدرا، ضرورة علمية وفكرية، لا يمكن تجاوزها في أي حركة ثقافية وعمل فكري. ويكون إغفال البحث في المعرفة مصدرا لمشكلات خطيرة، عندما تكون مسألة الثقافة وقضية الفكر، من حيث المناهج والتخطيط، في إطار القيم وتوجيه المسار. وكان طبيعيا أن تختلف نزاعات الفلاسفة والعلماء بدرجات متفاوتة تجاه هذه الحقيقة، فتحددت المذاهب والتيارات العارضة احتدم بينها الصراع.

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
في هذا الإطار، ظل المجتمع العربي حتى اليوم مختبرا تجرب فيه كل
التيارات، وبرغم ما شاهده هذه الأخيرة من فشل وإخفاق، إلا أنه لا يزال على
استعداد لاستقبال كل التيارات المتوافدة على حدوده، فهو يشكل مجالا للتلقي
والترحيب، بدلا من البحث والتنقيب عن أساليب وطرق ذاتية لتثبيت دعائم
تصورات خاصة، تربطها علاقة عضوية بالخصوصيات الحضارية والثقافية
للواقع العربي.

في هذا الصدد، ربما كان العلامة بن عبد الرحمن بن خلدون من المحاور
الأساسية لإحدى الإشكاليات المنهجية التي تواجهنا. وهي أننا انشغلنا طويلا
بإثبات أسبقية ابن خلدون على علماء الغرب وفلاسفته، أو بإثبات موسوعية ابن
خلدون التي تشمل اهتمامه بكل ما طلع به العصر الحديث في الغرب، من
فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع إلى بقية الفروع.

لقد كان أقصى ما توصلت إليه المكتبة الخلدونية المعاصرة، هو نسبة كل
تيار فكري عربي معاصر إلى جذر خلدوني. مما يعني أن ابن خلدون أصبح إلى
جانب المناهج الغربية من مصادر الشرعية. وهذا كسب كبير يشوبه أن النظر
إلى التراث الخلدوني قد تم في الأغلب الأعم بالمناهج الغربية ذاتها.

إن العودة إلى فكر ابن خلدون ليس من باب السلفية، بل لمعرفة ما تركه
مفكر ينتمي لتراثنا، عسى أن نجد عنده بعض الركائز الموضوعية التي تنفعنا
لرفع البنيان، مدركين تماما أن ما تم في الماضي لا يمكن استرجاعه، لأنه تم في
ظروف تاريخية مختلفة تماما عن ظروفنا، لكن يمكن استكمالها على ضوء
المعطيات الحاضرة.

في ضوء ما تقدم، يحاول الباحث أن يجتهد ويجمع شتات الأفكار
والركائز التي تندرج تحت مجال دراسته، ويعمد إلى تحليلها وبيان ما تعكسه

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. جوطي بوبكر
من مقومات ومحاوَر أساسية تشكل في مجموعها نظرية معرفية لدى ابن
خلدون.

1-1- إمكان المعرفة:

عندما نطالع مقدمة ابن خلدون وخاصة الباب السادس، نجد أن هذا
الباب قد حوي الكثير من مقومات نظرية المعرفة. في مستهل هذا الباب يبدأ ابن
خلدون " بفصل في الفكر الإنساني" ¹ حيث، يذهب ابن خلدون إلى أن الفكر
الإنساني تميز به البشر عن الحيوانات، وبالفكر البشري فضل الله سبحانه وتعالى
الإنسان على كثير من خلقه، واهتدى به لتحصيل معاشه ²
و في الفصل المعنون بـ " في أن عالم الحوادث الفعلية إنما يتم بالفكر"
³ يذهب ابن خلدون إلى أن الأفعال البشرية تختلف عن الأفعال الحيوانية، حيث
أن الانتظام والترتيب إنما يسود الأفعال البشرية على عكس التفرقة وعدم
الانتظام في الأفعال الحيوانية والتفرقة فيما بين الأفعال لدى كل من البشر
والحيوانات إنما يعزى إلى الفكر الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان، وبه يعثر
الفاعل على الترتيب، والفكر هو الخاصة البشرية التي تميز بها البشر عن غيره
من الحيوانات، وإنسانية الإنسان إنما تتوقف على مقدرة الإنسان الفكرية
وحصوله على الأسباب والمسببات، وترتيب الأفعال وانتظامها. ⁴

¹ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، لجنة البيان

العربي، القاهرة، 1967، ص 1108

² المرجع السابق، ص 1108-1109

³ المرجع السابق، ص 1110

⁴ المرجع السابق، ص 1110-1111

و في الفصل الذي عقده ابن خلدون " في أن العلم والتعليم طبعي في العمران البشري " ¹ يذهب إلى " أن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك، وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والاجتماع المهيأ لذلك التعاون، وقبول ما جاءت به الأنبياء من الله تعالى. والعمل به وإتباع صلاح أخراه فهو مفكر في ذلك كله دائماً لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين، بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر. وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع " ².

يستخلص مما سبق أن ابن خلدون يذهب إلى أن الإنسان لديه استعداد فطري لتلقي العلوم واكتساب المعارف وذلك بما ميزه الله سبحانه وتعالى عن غيره من الحيوانات بالفكر، فالإنسان كائن مفكر، وبالفكر ينشأ العلم وبه تكتسب الصنائع، وطبيعة الإنسان ما جبل عليه من الفكر تقتضي التعليم اكتساب المعارف.

فابن خلدون يذهب إلى أن الإنسان يكون راغباً في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات، فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه، فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه... وتتشوف نفوس أهل الجيل الناشئ إلى تحصيل ذلك، فيفزعون إلى أهل معرفته ويجيء التعليم من هذا. فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبعي في البشر. ³

¹ المرجع السابق، ص 1118

² المرجع السابق، ص 1118

³ المرجع السابق، ص 1118-1119

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
هذه الطبيعة الفكرية للإنسان والتي بواسطتها يكتسب العلم ويحصل
المعارف، أبرزها لنا ابن خلدون بشكل واضح في مقدمة له بعنوان " الإنسان
جاهل بالذات عالم بالكسب " ¹. تحدث عن الفكر بما أنه الخصيصة التي تميز
الإنسان عن سائر الحيوانات وتمكنه من أداء دوره العمراني في العالم كخليفة
عن الله سبحانه فيه... وهنا يشير إلى ثلاثة أنماط من النشاط العقلي الذي
يمارسه الإنسان، ويطرح في هذا المجال - كما فعل في مجالات أخرى من
الباب السادس - جوانب عديدة من تصوره لنظرية المعرفة.

فقد بينا أن الإنسان من جنس الحيوانات، وأن الله تعالى ميزه عنها بالفكر
الذي جعل له، يوقع به أفعاله على انتظام وهو العقل التمييزي، أو يقتصر به العلم
بالآراء والمصالح والمفاسد من أبناء جنسه وهو العقل التجريبي، أو يحصل به
في تصور الموجودات غائبا وشاهدا على ما هي عليه وهو العقل النظري. وهذا
الفكر إنما يحصل عليه بعد كمال الحيوانية فيه. ويبدأ من التمييز، فهو قبل
التمييز خلو من العلم بالجملة، معدود من الحيوانات. لاحق بمبدئه في التكوين
من النطفة والعلقة والمضغة، وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل له الله في
مدارك الحس والأفئدة التي هي الفكر. قال تعالى: " والله أخرجكم من بطون
أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون
" ². فهو في الحالة الأولى قبل التمييز هولي فقط لجهله بجميع المعارف، ثم
تستكمل صورته بالعلم الذي يكتسبه بآلاته فتكمل ذاته الإنسانية في وجودها. ³

¹ المرجع السابق، ص 1117

² آية 78 من سورة النحل.

³ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 1117 -

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر

و يستشهد ابن خلدون على أن العلم مكسوب للإنسان، حيث أن الإنسان جاهل بذاته، عالم بالكسب والاطلاع، فيستشهد بالآيات القرآنية الكريمة وهي أول ما نزل به الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي : " اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم " ¹.

" أي أكسبه من العلم ما لم يكن حاصلًا له بعد أن كان علقه ومضغة فقد كشفت لنا طبيعته وذاته ما هو عليه من الجهل الذاتي والعلم الكسبي، وأشارت إليه الآية الكريمة تقرر فيه الامتنان عليه بأول مراتب وجوده وهي الإنسانية وحالتها الفطرية والكسبية في أول التنزيل ومبدأ الوحي " ².

فالاكتساب يعني أن العلاقة بين الأفكار وحقيقة الأشياء هي علاقة بعدية، أي بعد التجربة، وليست قبلية أي (فطرية)، فإذا كانت نقطة البدء من الوقائع الحسية فهو تجريبي النزعة، أما إذا بدأ من قضايا وأفكار كلية فهو عقلاني النزعة، وعلم البشر - كما يرى ابن خلدون - هو " حصول صورة المعلوم في ذواتهم بعد ألا تكون حاصلة، فهو كله مكتسب " ³.

و من هذا المنطلق، رفض ابن خلدون ما زعمه الفلاسفة العقليون من أن المعرفة مركوزة في العقل، وأن الأفكار فطرية، لأن العقل عنده صفحة بيضاء خالية من المعرفة.

كما رفض ابن خلدون ما ذهب إليه أصحاب المنهج العقلي من اعتبار أن العقل والنفس من عالم مفارق نزل إلى الأرض ودخل الجسد، بحسب ما قال

¹ آية 1 - 5 من سورة العلق.

² عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 1118

³ المرجع السابق، ص 1115

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
أفلاطون، أو ما ذهب إليه أرسطو ومن تبعه، من أن النفس جوهر يختلف عن
الجسد، وصرح ابن خلدون بأن "الملكات كلها جسمانية، سواء كانت في البدن
أو في الدماغ من الفكر"¹.

إن اتجاه ابن خلدون نحو العلم الكسبي أو المعرفة عن طريق الاكتساب،
وإنكار فطرية الأفكار في النفس إنما يعبر عن حقيقة إسلامية خالصة - قرآنية -
تتعلق بطبيعة مصادر المعرفة الإنسانية، وهي الحقيقة التي تنفي فطرية الأفكار
في النفس وأن الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء فهو مستعد بالفطرة أن يتعلم
حقائق الكون.

2-1 طبيعة المعرفة لدى ابن خلدون :

إذا كان ابن خلدون قد سلم بإمكانية الإنسان لاكتساب المعرفة، وأن هذه
الإمكانية طبيعية حيث أنها استعداد فطري لدى الإنسان، وأن الإنسان يتميز عن
الحيوان بالفكر، فإنه بذلك يكون قد شيد الأساس الأول والركيزة الأساسية
لنظرية المعرفة.

و حينما نتحدث عن طبيعة المعرفة، فإننا نعني بهذا عند الفلاسفة
المحدثين معرفة علاقة الأشياء المدركة بالقوى التي تدركها، فهل هذه العلاقة
علاقة تصويرية فقط، أم علاقة تحليلية تركيبية؟ ونقصد بالعلاقة التصويرية بين
الأشياء المدركة والقوى التي تدركها، المعرفة التي تكون صورة لما يجري في
العالم من وقائع وأحداث، ومعرفة تلك الوقائع والأحداث تتم بصورة مطابقة
لما هي عليه في الواقع دون حذف أو إضافة، وتلك العلاقة هي التي نسميها في
مجال طبيعة المعرفة، الواقعية الساذجة، ومعرفة الإنسان - على حسب الواقعية

¹ المرجع السابق، ص 1119

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
الساذجة- مثل آلة التصوير فكلاهما يقوم بعملية واحدة وهي التقاط صورة
للأشياء كما تكون عليه في الواقع دون حذف أو إضافة.
و لعل ما دعانا إلى الحكم بالواقعية الساذجة على تلك العلاقة التي تكون
بين الأشياء المدركة والقوى التي تدركها، تلك العلاقة الالتقاطية أو التصويرية
التي تطابق الشيء الخارجي تماما دون حذف أو إضافة، وسميت بالواقعية
الساذجة ذلك أنها تخضع للتفكير النقدي¹.

وقد تحدثنا عن الواقعية النقدية، التي تحاول أن تثبت الحقيقة عن طريق
مناقشة الحجج المضادة وأبطالها، فالمعرفة -حسب الواقعية النقدية- لم تكن
صورة مطابقة للأشياء المدركة كما كان الحال في الواقعية الساذجة، بل أصبحت
صورة معدلة بفعل العقل، فالعقل يؤلف منها معاني جديدة.

و إذا كنا قد تحدثنا عن الواقعية الساذجة، والواقعية النقدية، فهناك
المذهب المثالي والذي ينقسم إلى مثالية ذاتية، ودعاة هذا المذهب يفسرون
الوجود تفسيراً عقلياً روحياً. ويتوقف وجود هذا العالم الخارجي على الذات
العارفة، ولذلك سميت بالمثالية الذاتية. بينما المثالية النقدية ترى أن المعرفة لا
تستقي من المدركات الحسية فقط - ولا من الحس فحسب - بل المعرفة
مرجعها الحس الذي ينقل للعقل صورة المحسوسات، ويضيف عليها العقل
علاقات زمنية أو مكانية ولذلك نجد أن كانط أضاف العقل إلى التجربة كمصدر
من مصادر العلم.

¹ زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة، وزارة التربية والتعليم من منشورات وزارة الإرشاد
القومي، القاهرة، 1956،

و إذا كان روجي بيكون (BACON (R). قد نادى بتحطيم الأوهام أو أوثان الفكر، بمعنى آخر، إذا كان سيكون وجه النقد أولا للعقل البشري وحذر من الأوهام التي تعوق تقدم التفكير المنتج، ورأى أن يهدم وأن يستأصل تلك الأوهام قبل الشروع في بناء علمي جديد. وكل هذه الأوهام إنما تحمل معنى الشك والتفكير والتمحيص في كل ما يعرض على العقل، وهذا الشك يعد شكا علميا، بمعنى الشك كمنهج للوصول إلى الحقيقة وإلى اليقين¹.

وإذا كنا قد عرفنا أيضا عن المذهب العقلي أن ديكارت (DESCARTES (R) وهو مؤسس الفلسفة الحديثة، أقام فلسفته وبدأها بالشك المنهجي أو الشك العلمي، بمعنى أن يبدأ بالشك وينتهي إلى اليقين أو إلى المعرفة الصادقة، كما أن الغزالي أيضا بدأ بالشك وذلك للوصول إلى اليقين وإلى المعرفة الصادقة، ولم يعتمد على العقل فقط - لأن العقل له مجال وله دائرته الخاصة فقط - فالشك بذلك يعد أولى مراحل المعرفة الصادقة.

فالشك لدى بيكون وديكارت والغزالي يعد شكا عاديا، أي أنه منهج للتفكير وذلك للوصول إلى اليقين وإلى المعرفة الصادقة، وجدير بالذكر أن هذا اللون من الشك هو الذي أراده الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: "نحن أولى بالشك من إبراهيم"² فالشك الذي أراده الرسول صلى الله عليه وسلم هنا، الشك المنهجي الذي يصل به الإنسان إلى المعرفة الواضحة، والشك هو الوسيلة التي اتبعها أبو الأنبياء للوصول إلى الحقيقة³.

¹ محمود السعيد الكردي: ابن خلدون، مقال في المنهج التجريبي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1984، ص 168 - 169

² علي بن زين الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، دار المعرفة القاهرة، د.ت، ص 490/5

³ محمود السعيد الكردي: ابن خلدون، مقال في المنهج التجريبي، مرجع سابق، ص 219

فإننا نجد ابن خلدون عاش في القرن الرابع عشر قد حذرنا من الأوهام والأغلاط التي يقع فيها المؤرخ، وتعوقه عن الوصول إلى المعرفة الصحيحة والسليمة، ونجد أن ابن خلدون اتبع الشك بداية إلى الوصول إلى الحقيقة وإلى المعرفة الصادقة، ولذلك نجد أنه قد عقد فصلا في المقدمة وهو معنون بـ " في فضل التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها " ¹. وفي هذا الفصل نجد أن ابن خلدون يأخذ على المؤرخين اعتمادهم على نقل الحكايات والوقائع بلا تمحيص أو روية دون اعتمادهم على أصول تلك الوقائع، أو الوقوف على طبائع الكائنات. ولذلك نجد أن ابن خلدون يذكر لنا في مقدمته ما يجب أن يحتكم إليه المؤرخ بصدد دراسته للوقائع والأخبار فيقول : " فالأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيدة عن جادة الصدق " ². ومعنى ذلك أن ابن خلدون كان ينظر إلى التاريخ وكتابته نظرة نقدية وتحليلية، وكان الهدف من هذا النقد هو معرفة كتابة التاريخ على الوجه الصحيح، حيث يجب على المؤرخ أن يعرف طبيعة وأسباب الأحداث التاريخية، وأن يلم بالمتغيرات والتقلبات التي تحدث للظاهرة، حيث أن الوقوف على تلك المعلومات تزودنا بالأساس السليم لتمحيص الروايات والوقائع التاريخية ³.

¹ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 362

² المرجع السابق، ص 362

³ MAHDI (M.) : Ibn Khaldoun's philosophy of history, London 1957, PP. 34 – 39

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر

و بالإضافة إلى ما ورثه ابن خلدون من الشك العلمي من قبل أئمة الفقه الإسلامي نجد أن ابن خلدون استفاد من طرق الثبوت من صحة ما يروى في مجال الحديث¹، لذلك نجده ينصح المؤرخ بأن يتبع قاعدة التقصي وتحقيق الأحداث، وذلك بعد الوقوف على طبيعة العمران، وإذا لم يكن المؤرخ محيطا بعادات المجتمع وشؤونه الداخلية، لم يستطع الحكم على الأحداث بطريقة صحيحة، ولذلك هاجم ابن خلدون المؤرخين الذين لم يتحروا الدقة في كتابة التاريخ، أو الذين اعتمدوا على النقل دون التمهيد أو التحليل ومن بين من ذكرهم من المؤرخين ابن هشام والواقدي، والمسعودي والطبري².

و يتضح مما سبق أن ابن خلدون اتخذ من النظر والنقد والتمحيص والتحليل أدوات أساسية في كتابة التاريخ، ومن نأى وابتعد ولم يحتكم إلى تلك الأدوات فقد يقع في الأغلاط والأوهام الكثيرة، ولذلك نجد أن ابن خلدون يقرر في مقدمته أن المؤرخين الذين ابتعدوا ولم يعتمدوا تلك الأدوات " ضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط "³.

و لم يكتف ابن خلدون بهذا النقد أو ذلك التمهيد، بل أخذ يحلل أسباب الوقوع في الكذب في مجال الأخبار، ومن بين تلك الأسباب : التشيع لرأي أو مذهب معين، وعندما يتشيع المؤرخ أو القارئ لفكرة معينة أو رأي معين، فإنه يسارع إلى مساندته ونشره حتى وإن كانت تلك الفكرة ذاك الرأي

¹ المرجع السابق، ص 14 - 15

² عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 362 وما بعدها

³ المرجع السابق، ص. 362 - 363

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
محل شك، أما إذا قرأ الإنسان خبراً عن شيء أو فكرة لا يتشيع لها، فإنه عادة
يميل إلى التمهيص والشك¹.

و من بين أسباب الوقوع في الخطأ - أيضاً - الثقة بالناقلين، دون
تمحيص الأخبار أو محاولة وزنها بميزان الصدق والكذب، حيث أن ابن
خلدون يقرر في مقدمته أن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار
الأيام وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون
بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة
لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا
كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها².

كما لجأ ابن خلدون إلى منطق التعليل، كما رأى أيضاً ضرورة اعتماد
الباحث على منهج المقارنة، وحسبنا أن نذكر هنا قول ابن خلدون عن علم
التاريخ وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات
الوقائع وأسبابها عميق³.

و يتضح مما سبق، أن طبيعة المعرفة لدى ابن خلدون أقرب إلى الواقعية
النقدية، لأن ابن خلدون يلجأ إلى النقد - لا إلى التقليد - في كتابه التاريخ.
لذلك يتسنى لنا أن نحكم بعد ذلك على أن طبيعة المعرفة - لدى ابن
خلدون - تعد نقدية تحليلية.

¹ حسن شحاتة سعيان : سوسيولوجيا المعرفة عند ابن خلدون، أعمال مهرجان ابن خلدون،
المنعقد بالقاهرة، 2 - 6 يناير 1962، المركز القومي للبحوث الاجتماعية
والجنائية، القاهرة، ص 244.

² عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 351.

³ المرجع السابق، ص 351

1-3- مصادر المعرفة لدى ابن خلدون :

في البداية نود أن نذكر، ما قرره ابن خلدون في مقدمته من أن الإنسان ذو طبيعة جاهلة، واستشهد بآية كريمة نصها : " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" ¹ في هذا النص الكريم، من القرآن يسجل لنا أن الإنسان جاهل بذاته، وأكسبه الله العلم بما زوده من أدوات ومنابع مختلفة.

و لنكون أكثر تخصيصا فإنه تجدر بنا الإشارة إلى أن الفكر الخلدوني يعترف بالمصادر والمنابع التالية للمعرفة البشرية.

أولا : الحس : فأول هذه المصادر وأدناها مرتبة هو الحس أو الإدراك بالحواس، سواء أكانت ظاهرة، أو باطنة. وقد اعترف جميع فلاسفة الإسلام بالحواس كمصادر للمعرفة أو كمنافذ تنتقل عن طريقها انطباعات الواقع المحسوس إلى الدماغ لتمييزها والحكم عليها في ضوء المعلومات السابقة للشخص ².

يذهب ابن خلدون وهو بصدد الحديث عن علم المنطق إلى " أن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس، وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الإدراك من الناطق وغيره وإنما يتميز الإنسان عنها بإدراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات" ³.

¹ آية 78 من سورة النحل.

² محمد غلاب : المعرفة عند مفكري المسلمين، الدار المصرية للتأليف

والترجمة، القاهرة، 1966، ص 340 وما بعدها.

³ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص. 1236.

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
يتضح من النص السابق لابن خلدون أنه يبدأ بالحواس كأدوات لاكتساب
المعرفة وتحصيل العلوم، فنقطة البداية هي المحسوسات ثم تجرد منها الصور
الكلية بواسطة الفكر، وهو ما يتميز به الإنسان عن الحيوان.

هذا ما يؤكدده حسن السعاتي بقوله : " وهكذا أخذ يبحث في هذه الظواهر
على أساس الواقع المادي، وليس المتخيل الصوري. وقد اتجه هذا الاتجاه،
لأنه وجد أنه لا يستطيع أن يسير على نهج أسلافه ممن برعوا في العلوم النقلية
الوضعية المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، والتي لا مجال فيها للعقل إلا
في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول... " ¹.

لقد أراد ابن خلدون أن يلج ميدانا يتحقق له فيه أمران : الأول تحرير
عقله ليفكر ويبحث وتكتسب المعرفة عن طريق المدارك الحسية ضمن نطاق
الفكر، فلا يتقيد عقله إلا بالمشاهدة المحسوسة والحوادث المتشخصة، أي التي
وقعت فعلا، أو كان لها وجود أصلا. والأمر الثاني ابتكار أفكار جديدة،
وإضافات أصيلة يضيفها إلى المعرفة ².

لذلك نجد أن ابن خلدون قد أقام علمه الجديد (علم العمران البشري
والتجمع الإنساني) من خلال مشاهداته وملاحظاته وتجاربه الشخصية وتحليله
للوقائع التاريخية.

ثانيا : العقل : حيث اعترف جميع فلاسفة المسلمين وعلمائهم تقريبا
بالعقل كمصدر من مصادر المعرفة، مع اختلافهم في درجة تقدير أهميته، فبالغ
بعضهم في هذا التقدير واعتدل آخرون. وممن بالغوا في تقدير العقل هم

¹ حسن السعاتي: علم الاجتماع الخلدوني (قواعد المنهج)، دار النهضة العربية، بيروت،
1971، ص 72.

² المرجع السابق، ص 73

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
الفلاسفة العقلليون ومن نحا منحاهم من متكلمي المعتزلة وأهل الشيعة وعلى
الأخص الزيدية منهم.

و من علماء الإسلام البارزين الذين أشادوا بالعقل في اعتدال وبنوا
وظائفه وأفضليته بالنسبة للحس هو الإمام الغزالي في كتبه المختلفة¹.

نحن نعرف أن ابن خلدون - كما سبق أن ذكرنا - كتب فصلا عن " الفكر
الإنساني "²، وفصلا " في أن عالم الحوادث الفعلية إنما يتم بالفكر "³. وذهب إلى
أن الفكر هو الخاصة التي تميز بها الإنسان عن غيره من الحيوانات الأخرى،
وذهب إلى أن الانتظام والترتيب في الأفعال البشرية إنما يعزى إلى الفكر، وذلك
على عكس أفعال الحيوانات التي تكون مدركاتها متفرقة، ومعنى ذلك أن ابن
خلدون يرى أن العقل - ومن خصائصه التفكير - مصدر من مصادر المعرفة
واكتساب وتحصيل المعارف والعلوم، بل أداة منظمة ومرتبطة لما يجمعه الإنسان
بحواسه من مدركات مختلفة.

و مما يؤكد النزعة العقلية لدى ابن خلدون أنه ينظر إلى التاريخ في
جوهره نظرة نقدية تحليلية، حيث يذكر لنا في مقدمته عن علم التاريخ قائلا : "
وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل
الكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع، وأسبابها عميق، فهو لذلك
أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخلق "⁴.

¹ أبو حامد الغزالي : معيار العلم، تحقيق، سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1961.

² عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 1108

³ المرجع السابق، ص 1110

⁴ المرجع السابق، ص 351

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
يتضح من النص السابق لابن خلدون أنه جعل التاريخ من العلوم التي
تبحث عن الأسباب وتعليل الكائنات، وتبحث في كيفية وقوع الظواهر، أي أنه
سار في بحوثه الاجتماعية سيراً عقلياً.

ولكن بالرغم من الاعتراف بفضل العقل وبأهميته كمصدر أساسي
للمعرفة، فإن هذا الاعتراف لم يمنع ابن خلدون من التنبيه إلى قصور العقل
ومحدودية إمكانيات إدراكه في الأمور الغيبية، فقد أشار إلى أن العقل مثل الحس
عاجز عن إدراك المغيبات كالألوهية والنبوة والروح والآخرة.

ثالثاً : الحدس : في الفصل الخاص " بعلم التصوف " ¹. تحدث ابن
خلدون عن التجربة الصوفية وما فيها من كشف ومعرفة ذوقية، وهذه المعرفة
تختلف عن الانطباعات الحسية، أو المعرفة التي سبيلها الحواس، والتي تأتي
عن طريق العين أو الأذن وغيرهما من أعضاء الحس، أو المعرفة الاستدلالية
والتي سبيلها العقل والتي تستند أولاً على المعطيات الحسية، بينما المعرفة
الحدسية هي المعرفة التي تتم بالمواجهة المباشرة بين الذات المدركة
والموضوع المدرك.

و عن هذا الإدراك المباشر يتحدث ابن خلدون في مقدمته قائلاً : " وهذا
الإدراك لا يحصل بنظر ولا علم، وإنما يحصل بكشف حجاب الحس، ونسيان
المدارك الجسمانية بالجملة " ². كما يذكر ابن خلدون سبيل تلك المعرفة
الحدسية أو كيفية الطريق إلى تلك المعرفة، وأول هذه الطرق محاسبة النفس
على الأفعال والتروك والمجاهدة، والخلوة، والذكر، وبمعنى آخر هناك طرق

¹ المرجع السابق، ص 1197

² المرجع السابق، ص 1324

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ¹ عوطي بوبكر
كثيرة لرياضة النفس حتى تسمو وتصل إلى إدراكها الذي هو من ذاتها، ويتعرض
الفرد حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلهي¹.
إذا كانت هذه هي الطرق أو الآداب التي يجب أن يسلكها الفرد الذي
يأمل وينشد أو يتطلع إلى الفيوضات والمشاهدات ويصير مؤهلاً للفتوحات
الإلهية، فما هي العقيدة التي يجب أن يتحرك بها ويحتكم إليها من بلوغ هدفه
المنشود.

يجيب ابن خلدون على هذا التساؤل قائلاً : " كتب رجال من أهل هذه
الطريقة في طريقهم، فمنهم من كتب في أحكام الورع ومحاسبة النفس على
الاقتداء في الأخذ والترك كما فعله المحاسبي في كتاب " الرعاية "، ومنهم من
كتب في آداب الطريق وأذواق أهلها... كما فعله القشيري في كتاب " الرسالة "
والسهروري في كتاب " عوارف المعارف " وأمثالهم. وجمع الغزالي رحمه الله
بين الأمرين في كتاب " الأحياء " فدون فيه أحكام الورع والاقتداء، ثم بين آداب
القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم. وصار علم التصوف في
الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط "².

و الحسد أحياناً ما يعبر عنه بالكشف الباطني أو الإلهام، بل والرؤيا
أحياناً، أو الإشراف أو المعرفة الإشرافية. تلك المعاني نجدتها في الفصل الذي
عقده ابن خلدون عن " علم تعبير الرؤيا "³، حيث يعد منبعاً آخر من منابع
المعرفة.

¹ المرجع السابق، ص 1200 - 1201

² المرجع السابق، ص 1200

³ المرجع السابق، ص 1215 - 1218

رابعاً: الوحي: من المصادر التي يستمد منها المسلم معارفه ومداركه، وعلى الأخص في الأمور الغيبية المتعلقة بالإلهيات وجميع العقائد الدينية، هو الوحي الإلهي الذي ينزله الله على رسله ليكون لهم وللمن اتبع هدايتهم واهتدى بهديهم وللناس كافة - مصدر معرفة وتوجيه. فالوحي بعد نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم، يصبح مصدر معرفة وهداية للناس جميعاً، يعظّمهم ويذكرهم بالخير الذي فطروا على حبه، وبالشر الذي جبلوا على كرهه، إلى غير ذلك من الوظائف والمهام التي يؤديها الوحي الإلهي للبشرية كافة، والتي تحمل في طياتها جميعاً جانباً من جوانب المعرفة.

و يدخل في نطاق الوحي أيضاً، ما يرويه الرسول من أحاديث قدسية عن ربه، والسنة النبوية الصحيحة بأنواعها القولية والفعلية والاقرارية. فهذه هي الأخرى مصادر معرفة للمسلم.

و المتصفح للمقدمة السادسة: " في أصناف المدرّكين للغيب من البشر بالفطرة أو بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا"¹، يجد أن ابن خلدون يتحدث عن حقيقة النبوة والأنبياء والوحي.

و لا شك أن حديث ابن خلدون عن الوحي، وحقيقة النبوة، والأنبياء والرسول والاصطفاء، يحمل في ثناياه أن ابن خلدون يرى أن الوحي مصدر من مصادر المعرفة وليس المعرفة فقط، بل المعرفة الحقة، والمعرفة اليقينية، لأن المعرفة أبسطها تبدأ بالحس، وأوسطها بالعقل للاستدلال، وأعلاها للتيقن أو اليقين.

خامساً: التجربة: عندما نتحدث على التجربة لدى ابن خلدون، لا نقصد التجربة المعملية، ولكن نعني بها المواقف العملية في الحياة، أو بمعنى

¹ المرجع السابق، ص 501 - 518

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
آخر تعاملات الإنسان وأنماط حياته في فترة زمنية معينة. ولقد خصص ابن
خلدون فصلا كتب فيه عن العقل التجريبي وكيفية حدوثه¹، وميز فيه بين البشر
والحيوان في اجتماعهم. وعن هذا الاجتماع يستفيد كل واحد من البشر القدر
الذي يسر له فيها، مقتنصا له بالتجربة بين الواقع في معاملة أبناء جنسه، حتى
يتعين له ما يجب وينبغي فعلا وتركيا².

يتضح من هذا النص لابن خلدون أنه يرى أن التجربة أو الخبرة
الاجتماعية التي يغتنمها الإنسان في وسط البشر إنما تكسبه المعارف وتكسبه
تجارب العديد من البشر، فبالخبرة والممارسة تفيدان الفرد في تعلم الفنون
والصنائع، وفي تعلم الآداب والأنماط السلوكية المختلفة وذلك على توالي
الأيام، وهذه المعاني تسير، كما ذكر ابن خلدون في مقدمته، القول المشهور "
من لم يؤدبه والده أدبه الزمان"³. بمعنى أن الفرد إذا لم يلقن الآداب من معاملة
والديه سوف يكون الزمان، بما فيه من تقلبات وظروف وأحوال متغيرة، هو
معلمه ومؤدبه. وهذه التقلبات وتلك الظروف والمواقف المختلفة هي ما نطلق
عليها خبرات يمر عليها الشخص نفسه أو غيره من بني جلدته.

ونجد أن ابن خلدون نفسه اعتمد اعتمادا كبيرا على التجربة كمصدر من
مصادر المعرفة، حيث أنه جمع المواد الأولية عن طريق خبراته وممارساته
لمختلف شؤون الحياة الاجتماعية بصفة عامة.

فالتجربة الشخصية، وتجارب الأشخاص الآخرين، وتجارب البشرية
بصورة عامة في سائر الحقول، والبحث العلمي والتاريخ باعتباره ذاكرة الأمة

¹ المرجع السابق، ص 1112

² المرجع السابق، ص 1113

³ المرجع السابق، ص 1113

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
الحية وسجل أحداثها وانتصاراتها وأمجادها ومظاهر قواتها وتقدمها وانتصاراتها
وجوانب ضعفها وتأخرها وباعتبارها مصدرا من مصادر العبرة والتوجيه، تعد
من المصادر والمنابع الأساسية للمعرفة الإنسانية.

1-4- درجات المعرفة لدى ابن خلدون :

اهتم ابن خلدون بنظرية المعرفة، واعتمدها أساسا للبحث في العلم
والتعليم، فاعتبر أن أهم ما يمتاز به الإنسان عن الحيوان قدرته على أن يعرف
ويدرك، أي قدرته على التفكير، فيقول : " اعلم أن الله سبحانه وتعالى ميز
البشر عن سائر الحيوانات بالفكر، الذي جعله مبدأ كماله ونهاية فضله على
الكائنات " ¹.

و الإدراك هو استنباط المعلومات من العالم الخارجي، بواسطة أدوات
هي مناهج وطرق للمعرفة، وهذه المناهج لا تخرج عن ثلاثة، اعتمدها
العلماء، وهي : الحس والعقل والنقل، ولكل منهاج مجال وموضوع
يختص بإدراكه، وبالتالي تتعدد مجالات المعرفة تبعا لتعدد موضوعاتها. وهذه
المجالات هي :

1- المعرفة الحسية:

وهي معرفة تعتمد على المنهج الحسي، وتأتي للإنسان عن طريق
استخدام حواسه الظاهرة، كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس، وهذا
النوع من المعرفة يعني به ابن خلدون، ويرى أنها متاحة لجميع البشر، إلا أنها
معرفة جزئية مفردة.

و إذا اقتصر الإنسان في معرفته على مجرد معرفة الجزئيات الجسمية لن
يشكل علما أو معرفة، لأنه في هذه الحالة لن يحقق ميزة العلم والتفكير التي

¹ المرجع السابق، ص 1108

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
امتاز فيها عن الحيوان، لأن الحيوان انحصرت معرفته في استخدام الحواس
الظاهرة، أما الإنسان فيزيد على هذا بإدراك المعاني الكلية وراء المحسوسات¹
الجزئية.

2- المعرفة العقلية :

وهي معرفة استدلالية تتم باستنتاج شيء من شيء آخر، أو تطبيق قاعدة
كلية على أمر جزئي، وتستند هذه المعرفة عند ابن خلدون على المعرفة
الحسية لتستخلص منها المعاني الكلية المجردة، فتبدأ من الصور الحسية،
وتنتزع "صورها في الخيال، ثم تجريد المعاني المعقولة منها، ثم تصرف الفكر
فيها بالتركيب والتحليل ونظم الأقيسة"².
والعملية المعرفية تتم على مراتب³:

أولها : العقل التمييزي. جعل الله للبشر انتظام الأفعال وترتيبها بالفكر،
وجعله منظماً فيهم، ويسرهم لإقاعه على وجوه سياسية وقوانين حكمية،
وينكبون فيه عن المفسد إلى المصالح، وعن القبيح إلى الحسن بعد أن يميزوا
القبائح والمفسد، فالإنسان من جنس الحيوانات ولكن الله تعالى ميزه عنها
بالفكر الذي جعل له، يوقع به أفعاله على انتظام، وهو العقل التمييزي.

ثانيها: العقل التجريبي. وبه يحصل الإنسان المعاني عن طريق الحس
وتدرك بالتجربة وبها تستفاد دلالتها، ولأنها معان جزئية تتعلق بالمحسوسات،
صدقها وكذبها يظهر قريباً، فيستفيد طالبها حصول العلم بها، ويستفيد كل واحد

¹ المرجع السابق، ص 1236 - 1237

² عبد الرحمن بن خلدون: شفاء السائل في تهذيب المسائل، تحقيق، أبو يعرب المرزوفي،
الدار العربية للكتاب، بيروت، ص 186

³ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 1109

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
من البشر القدر الذي يسر له فيها، مقتنصا له بالتجربة بين الواقع، وهذا هو
العقل التجريبي، وهو يحصل بعد العقل التمييزي الذي تقع به الأفعال.
ثالثها: العقل النظري. يأتي بعد هاذين مرتبة العقل النظري الذي تكفل
بتفسيره أهل العلم، وبه يحصل الإنسان في تصور الموجودات غائبا وشاهدا
على ما هي عليه.

و المعرفة هنا تتم إما بطريقة القياس، عن طريق استخدام الحد الأوسط
أو بطريقة التجريد التصاعدي، أو عن طريق المماثلة أو تصور الماهيات، أو
التركيب عن طريق التأليف وغيره.

و ترتبط المعرفة الحسية والعقلية بالعلم الجسماني وظواهره الحسية
ومجرداته، والفكرة التي بنيت على هذه الظواهر، والعلم هنا يعطينا معلومات
عن الوجود الحاضر، وتكون المدارك فيهما مدارك حسية واضحة يستخدمها
الإنسان لتجريد المحسوسات.

و يرى ابن خلدون أن الله تعالى قد أشار إلى هذا النوع من المعارف في
قوله تعالى: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم
السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون"¹. وبهذه المدارك يحصل الإنسان
على ملكات المعارف ويستكمل حقيقته الإنسانية باعتباره موجودا طبيعيا.

3- المعرفة الغيبية :

يشير ابن خلدون إلى نوع ثالث من المعارف، وهي المعرفة الغيبية،
ويرفض أن يضطلع العقل بإدراكها، لأن للعقل مجالا لا يمكن تجاوزه في
إدراك ما وراء الحس، وهو ما يسميه بالغيب، ويسميه الفلاسفة بالمتافيزيقا،

¹ آية 78 من سورة النحل.

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
فيقول : " الظاهرة الخفية ... كالوحي والملائكة والجن والبرزخ وأحوال القيامة
... متعذرة على الفهم " ¹.

و يدلل ابن خلدون على صحة ما يدعيه، بأن كل موضوع للمعرفة يستلزم
أداة صالحة له، والحس والعقل التزاما بالعالم الحسي، لأنه في تناول
برهنتهما، أما الموجودات الروحانية فإن " ذواتها مجهولة رأسا، ولا يمكن
التوصل إليها ولا البرهان عليها... ونحن لا ندرك الذوات الروحانية... فلا
يتأتى لنا برهان عليها، ومدرك لنا في إثبات وجودها على الجملة " ². ومهمة
العقل محصورة في تجريد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية ³.

و قد اعتمد الفلاسفة في قدرة العقل على معرفة ما وراء الحس، وهذا ما
يرفضه ابن خلدون، ويعيب على أصحابه قائلا : إن قوما من عقلاء النوع
الإنساني زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي، يدرك بالأنظار
الفكرية والأقيسة العقلية، فهؤلاء يسمون فلاسفة ⁴.

و قد رأينا كيف أن ابن خلدون قد وجه نقده إلى الفلاسفة عندما حاولوا
أن يدللوا على صدق تصوراتهم عن الألوهية باستخدام العقل وحده، بل عاب
على المتكلمين أن ينصرفوا إلى العقل في التدليل على صدق معتقداتهم الدينية،
بل يعيب عليهم خلط مباحثهم الدينية بالمباحث الفلسفية.

و نقد ابن خلدون للفلسفة لا ينصرف إلى كل مجالاتها، بل يقتصر النقد
على مجال الميتافيزيقا، أما ماعدا ذلك من موضوعات الفلسفة فيمكن أن ندخله

¹ المرجع السابق، ص 1192

² المرجع السابق، ص 1323

³ المرجع السابق، ص 1323

⁴ المرجع السابق، ص 1319

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
في نطاق العلم، كالعلوم الطبيعية والعلوم الرياضية، وعلى الرغم من إنكاره
لفائدة معرفة ما وراء الطبيعة بالعقل، إلا أنه لم ينكر دور الفلسفة في تنظيم
المعرفة، وهو ما حدده بقوله: " ليس له فيما علمنا إلا ثمرة واحدة وهي شحذ
الذهن في ترتيب الأدلة والحجاج لتحصيل ملكة الجودة والصواب في
البراهين" ¹.

و يعتقد ابن خلدون بشيوع المعرفة الغيبية لجميع البشر باعتبارها أمرا
فطريا، لأن مصدرها النفس، والنفس الإنسانية كلها كانت تعيش في عالم الغيب
قبل ارتباطها بالبدن، فهي مفطورة على هذه المعرفة، إلا أنها لا تظهر في كل
البشر، وإنما تظهر في بعضهم، إما عن طريق اصطفاء كما في النبوة والرؤيا، أو
طريق كسبي كما في حال المتصوفة.

فالنوع الأول - وهو العلم الغيبي بالاصطفاء يظهر للإنسان بلا تكلف أو
صناعة أو اكتساب، وإنما قد يأتيه عن طريق اصطفاء الله له من بين البشر، فيصله
عن طريق الوحي، أو يتم عن طريق الرؤيا التي يعتبرها ابن خلدون جزءا من
النبوة.

و هذه المعرفة تتاح للنفس البشرية عندما تمحي عنها ظلمتها البشرية،
وتنزع الميل إلى الأهواء من قبلها، فيلوح فيها " نور النبوة، كان العلم اللائح من
ذلك العالم بسبب... الملك، وهذا هو الوحي، وهو علم الأنبياء، صلوات الله
عليهم، وهو أرفع مراتب العلم" ².

¹ المرجع السابق، ص 1326

² عبد الرحمن بن خلدون: شفاء السائل في تهذيب المسائل، مرجع سابق، ص 186

الإطار الفلسفي للمعرفة الإنسانية عند ابن خلدون ١. عوطي بوبكر
و هذا العلم نوع من العلم الفطري، لا يصل إليه الإنسان عن طريق التعلم
والاكتساب بالعقل أو بالحواس، وإنما يتم " بعلم ضروري يخلقه الله له، لا
بالإدراك العادي للبشر في الجوارح " ¹.

أما الطريق الثاني : الذي يصل به الإنسان إلى المعرفة الغيبية فيكون عن
طريق الاكتساب والاجتهاد وهو لأصحاب الطريق الصوفي، الذين يسعون إلى
" التصفية والتخليص باكتساب وطريق صناعي، والعلم المفاد عنه لا يشعر بسببه
ولا مورده وإنما يكون نفثا في الروح وهو ذوق وهذه علوم الأولين والصدّيقين
وهي العلوم الإلهامية " ².

و يتم هذا الإدراك للصوفي عن طريق قلبه، عندما يرقى نفسه ويخلصها
من كدورات الجسد. فالنفس من عالم علوي، وما يمنعها من الاتصال بهذا العالم
في الحياة الدنيا هو جسدها، فإذا استطاع الإنسان أن يتخلص من علائق هذا
الجسد عن طريق الموت الصناعي، استطاع أن يميت غرائزه، وتحرر نفسه من
هذا الجسد، ارتفع الحجاب الذي يفصلها عن عالمها العلوي و " إذا ارتفع
الحجاب بالتصفية والتخليص من الكدورات وقع الإدراك " ³.

¹ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 1195

² عبد الرحمن بن خلدون: شفاء السائل في تهذيب المسائل، مرجع سابق، ص 186

³ المرجع السابق، ص 188.